صفحة من تاريخ

الرهبانية الباسيلية الشويرية

بقلم الاب اثناسيوس حاج ق. ب.
مدير الدروس في المدرسة الاكليريكية

٤

٥ — بعض رجالها المشاهير (تابع)

٧ — المؤرخون من ابناء الرهبانية

ان لبعض آباء الرهبانية فضلاً كبيراً بتركهم للوطن مصادر تاريخية ذات قيمة جليلة، منهم :

١ — الاب نقولا الضائغ الذي ترك للرهبانية سجلاً دوّن فيه اهم الحوادث الرهبانية، وشيئاً من الحوادث المدنية، وذلك من سنة ١٦٩٧ الى سنة ١٧٥٦

٢ — الاب قسطنطين الطرابلسي الذي ترك لنا في «تاريخ دير رومية نافيجلا» كل ما اتصل به عن الشرق مبتدئاً من سنة ١٧٢٩ ومنتهياً بسنة ١٧٧٣

٣ — الاب روفائيل كرامه الذي عُني بنشر تاريخه سيادة المطران العلامة باسيليوس قطان تحت عنوان «مصادر تاريخية لحوادث لبنان وسورية من سنة ١٧٤٥ الى سنة ١٨٠٠»

٤ — الاب حنانيا المنيّر المعروف في اوربة بكتابه الشهير في ديانة الدروز الذي ترجمه ونشره القنصل Guys. فمن جملة تآليفه: تاريخ الرهبانية الحنانية الذي اتى فيه بدقة ووضوح على ذكر الحوادث الهامة في بلادنا من سنة ١٧١٣ الى سنة ١٨٠٤. وله ايضاً تاريخ مدني معروف بكتاب «الدر المرصوف في تاريخ الشوف» وهو اوفى وادق ما كُتب في تلك الايام عن تاريخ الشوف بنوع خاص، وتاريخ سائر البلاد عموماً، ولقد تطرّق المؤرخ الى ذكر كثير من

الامور التي جرت في سورية ومصر مبتدئاً تاريخه من الامراء الشهابيين حتى موت الجزار اي منذ سنة ١٦٩٧ الى سنة ١٨٠٤ . فعلى هذين المؤلفين كان معوّل المؤرخين فيما بعد كالامير حيدر ، والشيخ بطنوس الشدياق في استقاء المصادر التاريخية اللبنانية لذلك العصر .

٨ — شهيد من شهدائها الابرار

القس بطرس نمر الزحلاوي . جميل بنا ان نختتم سلسلة بعض رجال الرهبانية الافاضل بكلمة موجزة عن كاهن من ابنائها مات لاجل الايمان . على اننا لا نعرف من امر هذا الرجل القديس سوى ما ورد باختصار في تاريخ الاب روفائيل كرامه الذي اشرنا اليه ، وما وصفه به الاب نيقولاوس الصائغ في قصيدة بدؤها

اي بطرس القسُّ ، تمَّ الحكم فيك كما قضى الاله ، وهل ردَّ لما حكما !

الى ان قال :

سامحك كفرًا ، فلم تكفر ، فتَّ على حفظ الوديعة بالايمان معتصما .

اما ما يعرف عنه فهو انه كان سنة ١٧٤٩ مقيماً في دير سيدة راس بعلبك ، فذهب يوماً الى اخرته خارج البلدة حاملاً اليهم طعام الغداء ، فتصدى له بعض المتاولة وخيّروه بين القتل وانكران الايمان المسيحي . اما هو فقد فضل الموت شهيدًا ، وقبل ان يوقعوا به ، التمس منهم هنيهة للصلاة . فركع ساجدًا وبينما هو يسأل الله معونته لتجرع كاس المهلك ، قبضوا عليه وذبحوه ذبح الشاة ، فمات فائزًا باكليل الشهادة . ويا ما احبّ هذا الاكليل الى نفوس القديسين !

تنبيه :

لقد وقع في لائحة الاساقفة من ابناء الرهبانية التي ختمنا بها القسم المنشور في الجزء السابق من المشرق ، وهم في سرد بعض الاسماء او اعمال في تحديد سني الاسقفية : فرأينا ان نستدرك هذه الهفوات هنا ، وقد انتهينا من الفصل الخاصّ بمشاهير الرهبانية . وعليه يجب ان يضاف الى اللائحة :

جراسيموس احد مؤسسي الرهبنة	مطران حلب	١٧٢١ — ١٧٥٤
يوسف الحكيم (او سَفَر)	مطران قاره	١٧٦١ — ١٨١٠
باسيليوس المرقتتجي (شكرالله بن نعمه شكر)	مطران حلب	١٨١٦ — ١٨٢٣

باسيليوس شاهيات (كان اسمه يوستينوس) مطران زحلة ١٨٣٦ – ١٨٦٤

ويجب ان يحذف منها :

١ً مكسيموس حنانيا صاجاني — لم يوجد مطران جذا الاسم من الرهبانية

٢ً اكليمنضوس بيدروس — هو نفس المطران اكليمنضوس الطيب

٣ً مخايل التركمان

٦ – اديار الرهبانية الشويرية البلدية

لا يخفى ان الرهبانيتين الحلبية والبلدية كانتا في بدء الامر رهبانية واحدة، وان الله كما سمح يوماً ان يفترق القديس برنابا عن القديس بولس لاجل فائدة النفوس ، قضى ايضاً ان ينفصل الرهبان البلديون عن الحلبيين اولاً سنة ١٨٢٣ ، بيد انهم لم يلبثوا ان اتحدوا في السنة نفسها على يد الامير بشير الشهابي ، ثم سنة ١٨٢٩ . ومنذ هذه السنة صارت الرهبانية الحلبية والبلدية متميزتين كل برجالها واديرتها ، غير انهما لا تزالان شقيقتين تعمل بهما روح واحدة ، وتعملان على مجد الله وخير النفوس ، وان شئت قل نهراً جرى طويلاً ثم ابى ان تنحصر مياهه العذبة في ناحية واحدة فتشعب الى شعبتين ليتسنى له ان يؤتي الخصب والحياة في مجال اوسع .

فاذا حصرنا الكلام الآن في الرهبنة البلدية قلنا ان لها خمسة اديار ثلاثة للرهبان ، واثنان للراهبات المحصنات .

منها دير النبي ايلياس بزحلة الذي شيد سنة ١٧٥٥ على ايام الخوري نيقولاوس الصائغ . ثم دير القديس انطونيوس في قصبة كفرشيما ، بني سنة ١٧٦٣ على رابية عالية ترفعه فوق صحراء الشويفات فيرى البحر بمنظره المهيب . ويعلوه من الجهة المقابلة سلسلة روابي وجبال خضراء تحيط به احاطة الهالة بالقمر . فهناك يقضي ما تبقى من الحياة رهبان طاعنو السن قضوا ايامهم في خدمة الدين والوطن وجاهدوا الجهاد الحسن ، فكانوا كاولئك الفرسان الذين بعد ان كافحوا اجمل كفاح ، وسقطوا مثقلين بالجراح لا يستطيعون خوض المعامع من بعد ، وقفوا اكف الضراعة يؤازرون رفاقهم بالصلاة والدعاء .

دير الصايغ – هو اقدم اديار الرهبانية واعظمها يحوي ثلاث بنايات : بناية

قديمة يقيم فيها جمهور المبتدئين، وبناية جديدة يقيم فيها عمدة الرهبانية والكهنة، وبناية ثالثة منفردة وهي المدرسة الاكليريكية للرهبانية.

اما موقع الدير فهو ما بين قصبتي الشوير والحشارة، على طبقة صخرية فوق وادي الجاجم، تحفّ به صخور واشجار اكثرها من السنديان والصنوبر الجميل.

وما خلا هذه الاديرة الثلاثة، يوجد ديران للراهبات المنتميات للرهبانية، وهنّ محصنات منقطعات للصلاة والعمل. احدهما دير في ذوق ميكائيل على اسم سيدة البشارة شيد في عهد رئاسة الخوري نيقولاوس الصائغ سنة ١٧٣٧، فكان ولم يزل مزارًا شريفًا يؤمّه كثير من اهل الصلاح والتقى. والآخر دير سيدة النياح في بقعتوته، بين مزرعة كفرديان وبسكنتا، شرع ببنائه على نفقته الخاصة نحو سنة ١٧٦٠ احد الدمشقيين الاتقياء، المقدسي ابرهيم خير، وفرغ منه سنة ١٧٦٧ كما يشهد بذلك التاريخ المثبت فوق كنيسة الدير وهو:

اتى بالخير خيرٌ من دمشقٍ لسيدة النياح اقام ديرا
اردت كتابة التاريخ يومًا فقلت جزاك ابرهيم خيرا

١٧٦٧

٧ — الآثار التاريخية في الرهبانية

ان اجلّ الآثار التي تملكها الرهبانية الشويرية هي مطبعتها القديمة، وكنيستها القائمتان في دير الرئاسة اي دير الصائغ.

المطبعة

هي اول مطبعة عربية في هذه الارجاء. ولا عبرة بان مطبعة دير قزحيا قد سبقتها لان هذه كانت تطبع بالسريانية وبالحرف الكرشوني. اما تلك فقد اتت بكتب عربية عديدة روحية وطقسية وجدلية، وكل ذلك بحروف عربية واضحة وطبع جميل. وهي لم تزل الى الآن محفوظة بكامل ادواتها من حروفها الى امهات الحروف الى ابياتها الى طوابع الاقلامي وغير ذلك، وكله في غاية الدقة والاتقان مما يدل على مهارة وتفنن مؤسس المطبعة الشماس عبد الله زاخر.

الكنيسة

ان في دير الرئاسة كنيستين احداهما قديمة العهد والثانية احدث عهداً . فالقديمة المدعوة بكنيسة مار يوحنا شفيع الدير لا يعلم من تاريخها سوى انها كانت قبل تأسيس الدير بسنين كثيرة جداً فكانت بمثابة مزار للقرى المجاورة. اما الصور الموجودة فيها فانها عريقة في القدم ، فاحدثها كصورة الصابغ وصورتي السيد والسيدة يرقى عهدها الى سنة ١٧١٠ او سنة ١٧٢٠ . وهناك صور اقدم عهداً منها بكثير من السنين وإن منها صورة عجائبية اثبتت عليها شهادات الرؤساء والاساقفة.

كنيسة القديس نيقولاوس — شرع ببنائها سنة ١٧١٩ الطيب الذكر نقولا الحصاني الدمشقي واتفق عليها نقولا الصائغ مالاً جزيلاً فاتت كنيسة متينة البناء .

فمعظم جمال هذه الكنيسة قائم في الايكونوستاز ، او واجهة الصور ، الذي صنع بعد كمال الكنيسة بزمن غير طويل ، وهو على جانب يذكر من الزخرفة والاتقان يدلّ على مهارة صانعه ورفرة ذوقه ، وصانعه احد الرهبان المتفننين الذي آتاه كل ما اتاه من التفنن على عدم تيسر الادوات اللازمة .

الايكونوستاز كله من خشب الجوز طوله ستة امتار ونصف ، وعلوه اربعة ونصف ، وقد حفر فيه تماثيل ومشاهد دينية جميلة . ففوق الباب الايمن منه يرى القديس ديمتريوس على حصانه ، ثم القديس اغناطيوس تأكله الوحوش ، وبين هذين المشهدين بشارة العذراء . وفوق الباب الشمالي قد مثل القديس جاورجيوس يقتل التنين ، ثم النبي دانيال في جبّ الاسد وقد وافاه الملاك بحبقوق النبي حاملاً اليه زاداً ، والملاك ماسك حبقوق بناصيته حسب نصّ الكتاب المقدس . وبين هذين المشهدين المتقنين نرى القديس يوسف حاملاً الطفل يسوع .

ويُرى فوق صورة السيد المصلوب تُحيط به المريمات ، ثم القبر والحراس ساقطون من الرعدة ، ثم المسيحُ قائماً ظافراً . وفوق صورة السيدة القديسان بطرس وبولس يحملان قبة الكنيسة ، ثم ملاكان يحملان القربان الاقدس في

كاس ترفرف حوله الملائكة ، ثم الملك قسطنطين وامه هيلانه وقد وجدا الصليب المقدس ، وفوق كل ذلك السيد المسيح تحيط به اجواق الملائكة.

كل هذه المشاهد قد فرغ ما حولها الا قليلاً لتبقى التماثيل متماسكة . وهناك ايضاً الباب الاوسط ، وهو يتميز من البابين الآخرين بان العمودين القائمين على جانبيه حفرت فيها تماثيل السيد المسيح والرسل ، وقد افرغ قلبا العمودين وما حول التماثيل .

واما ما فوق الباب فقد استوت فيه العائلة المقدسة ، وعن اليمين يوحنا السابق شفيع الدير ، والى اليسار القديس باسيليوس الكبير مؤسس الرهبانية.

أضف الى هذا الاثر الجميل صوراً قديمة منها صورة قلب يسوع ، وصورة الوردية المقدسة ، قدمتا للكنيسة سنة ١٧٤٠ ، مما يدل على ان العبادة لقلب يسوع والوردية كانت متأصلة اذ ذاك بين الشرقيين وبين الرهبان قادة الشعب في تلك الايام.

٨ — مآثر الرهبانية

لقد شبه البابوات الرهبانية بشجرة كبيرة ، وقد اصابوا ولاسيما انها اعطت منذ تأسيسها ثماراً كثيرة لذيذة فخدمت الدين والعلم والوطن خدمة جلى.

خدمت الدين بالرسالات التي افتتحتها في بلاد بعلبك ، وحمص ، وحماة ، وديار بكر ، وبعدئذ في السلط وغيرها . جاء في سجل الرهبنة :

« في سنة ١٧٢٩ ارسل اهل قرية رأس بعلبك الى الرئيس العام يطلبون منه كاهناً كاروزاً كي يرشدهم في حقائق الايمان الكاثوليكي الذي سمعوه من المنوري ثاودوروس اذ كان عندهم فارسل لهم رئيس المنوري مكسيموس (حكيم) الذي ذهب وكرز علم وحتى انه شاع خبره . . . فارسل مطران حمص يستدعيه اليه فذهب وعلم وكرز عدة ايام ومذ ذاك تأسس هناك الايمان الكاثوليكي. . . »

وفي محل آخر

« ثم ان الاب ثاودوروس خرج من حلب في اواخر ايار سنة ١٧٢٢ . . . فمرّ على حماة وحمص وانذر اهلها بالايمان الكاثوليكي. . . »

خدمت الدين بخدمة ابنائها رعايا الابرشيات ، وبتقديمها للطائفة بطاركة واساقفة وكهنة يصحّ في كثير منهم ما قاله السمعاني عن موسسيها . خدمت الدين بالكنائس والمدارس التي شيدتها في كثير من قرى ابرشيتي زحلة وبيروت .

ولقد خدمت العلم والوطن ليس بالمدارس الصغيرة التي كان معهودًا بها الى كهنة الرعايا الرهبان فقط ، بل بتشييدها اكبر المدارس الوطنية التي تخرج فيها اكبر صحافيي وشعراء هذه الاقطار .

فمن ينكر يا ترى ما للكلية الشرقية بزحلة من عظيم الفضل على شبيبة الوطن ، وكم ضحت الرهبانية من مال ورجال في سبيل العلم في هذه البلاد . والمدرسة البطريركية في بيروت ، وكذا الاخويّات فيها ، من الذي اسسها سوى احد ابناء هذه الرهبانية ؟

واخيرًا من حفظ الطائفة وصانها من كل ضلال وانشقاق في القرنين الخاليين سوى الرهبانيات الكزيزة التي كانت منائر ساطعة الضياء ، تبدّد الظلمات عن هذه الارجاء ، وترى ابناء هذه الطائفة بين الاضطهادات الجمة التي حلت بهم ، وتقلبات بعض الرؤساء وغوايتهم ، الصراط المستقيم الى الكنيسة الحقيقية الرومانية منارة المنائر وام الكنائس .